بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾

البيان
لحكم قراءة القرآن الكريم بالألحان

جمع خادم القرآن الكريم
أيمن رشدي سويد

دار الصحابة للتراث
بطنطا

ت : ٠١٢٣٧٨٠٥٧٣ - ٣٣٣١٥٨٧

حقوق الطبع مباحة لكل مسلم بشرط المحافظة على الأصل وجودة الورق والإخراج

الطبعة الأولىٰ
١٤١٢ هـ = ١٩٩١ م

حقوق الطبع مباحة لكلّ مسلم بشرط المحافظة
علىٰ الأصل وجودة الورق والإخراج

يُطلب من
الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم
جدّة - حيّ السلامة - بجوار مسجد الشعيبيّ
ت ٦٨٢٠٨٦٤ - ص . ب : ٤٠٣٧٤ جدة ٢١٤٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله ، نحمدُه ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضْلِل فلا هاديَ له .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسوله .

امّا بعد :

فإنّ أصدقَ الحديث كتابُ الله عزّ وجلّ ، وأحسنَ الهَدْي هَدْيُ محمد صلىٰ الله عليه وسلّم ، وشرُّ الامور مُحْدَثاتُها ، وكلُّ مُحْدَثةٍ بِدعةٌ ، وكلُّ بِدعةٍ ضلالةٌ .

نحمده - تعالىٰ - أن جعَلنا من امّة القرآن العظيم ، كلامِه القديم ، الذي صانه عن التغيير والتحريف ، والتبديلِ والتصحيف ، وتولّىٰ حِفْظَه بنفْسه ولم يَكِلْه إلينا ، حيث قال سبحانه : [إنّا نَحْنُ نَزّلْنا الذِّكْرَ وَإنّا لَهُ لَحَافِظُونَ] [الحِجر ٩] .

وقال عن القرآن الكريم أيضاً : [وَإنّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَ يَأتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فُصِّلَت ٤١ ، ٤٢] .

ولقد كان جبريل - عليه السلام - يَنزِل بالقرآن العظيم علىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلّم - بعد أن يتلقّاه من ربّ العزّة - جلّ وعلا - فيقراه علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلّم ، تماماً كما تلقّاه .

قال تعالىٰ : (قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) [البقرة ٩٧] .

وقال سبحانه : [وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) [الشعراء ١٩٢ - ١٩٥] .

فوَصَف اللهُ - تعالىٰ - جبريلَ عليه السلام بأنّه « الأمين » علىٰ الوحي ، فلا يزيد فيه ولا يَنقُص ، ولا يُغيِّر منه شيئاً ولا يبدِّل .

ووصَف اللسانَ الذي نزَل به القرآنُ بأنّه « عربيٌّ مبين » ؛ فلا لَبْس فيه ولا غموض ، ولا اعوجاج ولا مَيْل .

وقد أمَر اللهُ - سبحانه - نبيَّه صلىٰ الله عليه

وسلّم بالإصغاء التامّ لقراءة جبريلَ - عليه السلام - حال التلقّي ، ثم أمَره بتقليده واتّباعه تماماً في قراءته .

قال تعالىٰ : { لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ } [القيامة ١٦ - ١٨] .

فقام - صلىٰ الله عليه وسلّم - بهذا أحسن قيام ، وأعاد القراءةَ كما هي ، لم يَزِد فيها مِن شيء ولم يَنقُص ، وذلك بشهادة ربِّ العالمين ، حيث قال - جلّ من قائل - : { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } [الحاقّة ٤٤ - ٤٧] .

وتنفيذاً لأمر ربِّنا - سبحانه - القائل : { يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ } [المائدة ٦٧] ، قام صلىٰ الله عليه وسلّم بإبلاغ رسالة ربِّه ، وعلىٰ رأسها القرآنُ الكريم ، فأدّاه إلىٰ الصحابة أحسنَ الأداء ، مُمتثِلاً أمرَ الله القائل :{ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً} [المزّمّل ٤] .

فتلقّاه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - من

فمه الشريف - صلىٰ الله عليه وسلّم - غضّاً طرياً كما أنزل ، وحفظوه في الصدور وفي السطور أيضاً ، إلاّ أنّ جُلّ اعتمادهم كان علىٰ حفظ الصدور ، وهو من خصائص هذه الأمّة المحمّديّة ، التي وردّ وصفُها في الكتب السابقة علىٰ القرآن بأنّ أفرادها : « أناجيلهم في صدورهم » .

وفي الحديث القدسيّ الصحيح ، الذي رواه مسلم أنّ الله - تعالىٰ - قال للنبيّ صلىٰ الله عليه وسلّم : « ومُنزِلٌ عليكَ كتاباً لا يَغْسلُه الماء » اهـ . وذلك أنّه محفوظ في الصدور .

وقد أبرَز اللهُ تعالىٰ هذه الخاصّيّة للقرآن الكريم بقوله سبحانه : { بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ } [العنكبوت ٤٩] .

وقد تجرّد لنقل القرآن الكريم وضبطِه وإحكامِ تلاوته قومٌ من المسلمين علىٰ مَرّ العصور ، يأخذه الآخِرُ عن الأوّل بمنتهىٰ الدقّة والأمانة ، حتىٰ يؤدّيَه لمَن بعده من أجيال المسلمين ، وعُرِفَ هؤلاء القوم في كلّ الأعصار والأمصار بـ « القرّاء » .

فالقرّاء هم قوم وهَبوا حياتهم لكتاب ربِّهم ، تلقُّوه حرفاً حرفاً مع الضبط التامّ من شيوخهم ، وأدّوْه بمنتهىٰ الأمانة إلىٰ تلاميذهم .

هم قوم يقرؤون القرآن الكريم تارةً بشجىً ، وتارةً بطَرَب ، ومَرّةً بتحزين ، ومرّةً بشوق ، وفَيْنَةً برهبة ، وحيناً برغبة ، يُحَسِّنون أصواتهم ما استطاعوا بتلاوة كتاب ربِّهم ، من غير أن يَستعملوا تلك الإيقاعات المستفادة من علم الموسيقىٰ ؛ لأنّ القرآن أجلُّ من ذلك وأعظم ، فللقرآن الكريم موسيقاه الخاصّة التي لا يشاركه فيها كلام ، وهي ناشئة من المدود في أماكنها ، ومن الغُنَن في الميمات والنونات ، ومن إعطاء الحروف حقَّها ومُستحقَّها من المخارج والصفات ، لاسيَّما الشِّدّة والرخاوة والبينيّة ، والهمس والجهر ، والقلقلة والصفير والتفشّي ، والتفخيم والترقيق .

ولكن ظهَر - علىٰ مرِّ العصور - أقوامٌ أبَوْا إلاّ أن يقرؤوا كتاب الله - تعالىٰ - بالألحان الموسيقيّة المخترَعة المبتدَعة ، متنكِّبين في ذلك جادّة الصواب ، مخالِفين

للنقل المتواتر لكتاب الله تعالىٰ ، كلّ ذلك من أجْل أن يستميلوا قلوب العوامّ ويُطربوهم ، وينالوا منهم المال والجاه ، فاستبدَلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير ، ورحم الله الإمامَ أبا مُزاحم الخاقانيّ (ت ٣٢٥ هـ) حيث قال :

أيا قارئَ القُرآنِ أحْسِنْ أداءَهُ
يُضاعِفْ لكَ اللهُ الجزيلَ مِنَ الأجْرِ
فما كلُّ مَن يَتْلُو الكتابَ يُقِيمُهُ
وما كلُّ مَن في الناسِ يُقرِئُهم مُقْري
وإنّ لَنا أخْذَ القراءةِ سُنَّةً
عَنِ الأوّلِينَ المقرِئينَ ذَوِي السِّتْرِ

ويقول الإمام الشاطبيُّ - رحمه الله - (ت ٥٩٠ هـ) في وصف القرّاء السبعة ورواتِهم :

تَخَيَّرَهُم نُقّادُهُم كُلُّ بارعٍ
ولَيْسَ علىٰ قُرْآنِهِ مُتَأكِّلا

ولمّا ظهَرتْ في عصرنا المختَرَعاتُ الحديثة ، ومنها آلات تسجيل الصوت والصورة ، صار الناس يُسجِّلون علىٰ تلك الآلات كلَّ شيء ، ومن ذلك القرآن الكريم

بأصوات قرّاءٍ كثيرين جداً ، منهم المتقِن ، ومنهم نصف المتقِن ، ومنهم مَن لا إتقان عنده ، وأغلب هؤلاء يراعُون الأنغامَ الموسيقيّة - كما أسلفنا - حتىٰ صار العوامّ الذين ما شَمُّوا رائحةَ علمِ التجويد والقراءة يقولون : إنّ قراءة فُلان ممتازة ، وقراءة فُلان رائعة ، وأنا أُحِبُّ تلاوة فُلان ، وهَلُمَّ من تلك العبارات الجوفاء التي لا مقياس تحتها إلا التطريب ، ورفعَ الصوت وخفضَه ، والقراءةَ بنغم النهاوند والصُّبا والسِّيكاه والجَهارْكاه ، والعَجَم والرَّصْد ، وما إلىٰ ذلك من أنغام عَجَميّة ، فصِرتَ تَسمعُ في بعض الأشرطة المسجَّلة لواحد من هؤلاء المغنِّينَ بالقرآن وهو يقرأ قول الله تعالىٰ :

{ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ } [آل عمران ١٨١]

بالتطريب والتنغيم ، فيُجِيبه السامعون حوله من العوامّ : « اللّٰه ، اللّٰه » - ممدودةً بها أصواتُهم - « صَلُّوا علىٰ النبيّ » . وهذه أعمال قوم هزَّهم الطربُ ، ووالله لو تأمَّلوا معنىٰ هذه الآية الكريمة لأخَذهم الوَجَل ، ولاعتراهم الخوف ، ولسالت منهم الدموع فَرَقاً من

عذاب الحريق .

وهكذا تفشّىٰ هذا الأمر في مجتمعنا الإسلاميّ حتىٰ صار كثيرمن عوامّ المسلمين إذا سمعوا أنّ فُلاناً «قارئ» أو « مقرئ » توهّموا أنّه يقرأ في المآتم والتعازي ويأخذ علىٰ ذلك المبالغ الطائلة .

وإذا كنتَ في مجلس وقيل : سيقرأ علينا القارئُ فُلانٌ عشراً من كتاب الله ، انصرفتْ أذهان الناس إلىٰ أنّه سيجلس هذا الإنسان الآن ، ويضع كفَّيْه علىٰ أذنَيْه ، ويبدأ بالقرار ويُثنّي بالجواب ، إلىٰ غير ذلك من قواعد علم الموسيقىٰ ، وسوف يَتمايل يَمْنَةً ويَسْرة بينَ كلٍّ مَقطع والذي يليه ، وسوف يحمرّ وجهُه وتَبرزُ عيناه وتَنتفخ أوداجه ، ويَتفصّد عَرَقاً ، من شدّة التكلّف في القراءة .

وهكذا تحرّف مصطلَح « القرّاء » وصار يُطلَق علىٰ غير أهله ، أمّا أهله الذين هم أحقّ به فهم أهل الأسانيد والإتقان الذين [صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً] [الأحزاب ٢٣] .

فإعادةً للحقّ إلىٰ نِصابه ، ودفاعاً عن القرآن وقرّائه رأيتُ من واجبي أن أجمع هذه الورقات من فتاوىٰ العلماء قديماً وحديثاً في موضوع « قراءة القرآن الكريم بالأنغام والألحان المستفادة من علم الموسيقىٰ » ؛ ليكون المسلم علىٰ بصيرة من أمره ، فلا يأخُذ إلاّ بما ثبَت في ديننا ، ولا يَعتمِد إلاّ علىٰ نقل الأئمّة القرّاء من علمائنا ، راجياً من الله سبحانه الإخلاص والقبول .

ورتّبتُ هذا البحث علىٰ مقدّمة ، ومَقصِد ، وخاتمة :

فالمقدّمة : في معنىٰ اللحن لُغةً .

والمقصِد : في عرض فتاوىٰ بعض الفقهاء - علىٰ اختلاف مذاهبهم الفقهيّة - في مسألة قراءة القرآن الكريم بالألحان .

والخاتمة : في استفتاءات وجّهْتُها إلىٰ عدد من الأئمّة القرّاء في عصرنا الحاضر ، مع بيان ما أجابوا به .

وإنّي لأشكر لفضيلتهم حُسنَ تجاوبهم في الإجابة علىٰ ما وُجِّه إليهم من استفتاء ، تأييداً للحقّ ، ونُصرةً لكتاب الله .

كما لا يفوتني أن أشكر سماحة الشيخ / عبد العزيز ابن باز - حفظه الله - الذي تكرَّم بالاطلاع على أصل هذه الرسالة ، وتفضَّلَ مشكوراً بتقريظها وتأييد ما فيها ، فجزاه الله تعالىٰ عن القرآن وأهلِه كلَّ خير .

نسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا جميعاً هداةً مهتدين ، غير ضالِّين ولا مضلِّين ، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا ونبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم ، والحمد لله ربِّ العالمين .

جدّة - ١٠ شعبان ١٤١٠ هـ

خادم القرآن الكريم

أيمن رشدي سويد

المقدّمة

في بيان معنى اللحن لغةً

قال ابن منظور في « لسان العرب » (لَحَن) :

« اللَّحْنُ : من الأصوات المصُوغة الموضوعة ، وجَمْعه : ألْحانٌ ولُحُون . ولَحَّنَ في قراءته : إذا غرَّد وطرَّب فيها بألحان . وفي الحديث : « اقرؤوا القرآن بلُحون العرب » ... واللَّحْنُ واللَّحَنُ واللُّحانةُ واللُّحانِيَة : تركُ الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك » اهـ .

ثم قال في نفس المادّة بعد صفحات :

« قال ابن برّيّ وغيرُه : لِلَّحْنِ ستّة معانٍ : الخطأ في الإعراب ، واللغة ، والغِناء ، والفِطنة ، والتعريض ، والمعنى » . ثم قال : « واللَّحْنُ الذي هو الغِناء وتَرجيعُ الصوتِ والتطريب ، شاهِدُه قولُ يزيدَ بنِ النعمان :

لقد تَركَتْ فُؤادَكَ مُسْتَجَنّاً
مُطَوَّقَةً على فَنَنٍ تَغَنّى
يَميلُ بها وتَرْكَبُهُ بِلَحْنٍ
إذا ما عَنَّ لِلْمَحْزُونِ أنّا

فَلا يَحْزُنْكَ أيّامٌ تَوَلَّىٰ
تَذَكُّرُها ولا طَيْرٌ أرَنّا

وقال آخَر :

وهاتِفَيْنِ بِشَجْوٍ بَعْدَ ما سَجَعَتْ
وُرْقُ الحَمامِ بتَرْجِيعٍ وإرْنانِ
باتا علىٰ غُصْنِ بانٍ في ذُرَى فَنَنٍ
يُرَدِّدانِ لُحُوناً ذاتَ ألْوانِ

ويُقال : فُلانٌ لا يَعْرِفُ لَحْنَ هذا الشِّعر ، أي : لا يَعْرِفُ كيف يُغَنِّيه . وقد لَحَّنَ في قراءته : إذا طَرَّبَ بها » اهـ .

ثم خَتَم مادّةَ (لَحَن) بقَوله : « وفي الحديث : اقرؤوا القرآنَ بلُحُونِ العرب وأصواتِها وإيّاكم ولُحُون أهل العِشْق .

اللَّحْنُ : التطريبُ وترجيعُ الصوتِ ، وتحسينُ القراءة والشِّعْرِ والغِناءِ » . قال : « ويُشْبِه أن يكون أراد هذا الذي يفعله قُرّاءُ الزمان من اللُّحُون التي يَقرؤون بها النظائرَ في المحافل ، فإنّ اليهود والنصارىٰ يَقرؤون كُتُبَهم نحواً من ذلك » اهـ .

المقصد

في ذكر نصوص بعض الأئمّة من السادة العلماء ، فيما يخصّ قراءة القرآن الكريم بالألحان المستفادة من علم الموسيقىٰ ، وما يتعلق بذلك ، والله الموفّق .

أولاً :

روىٰ الإمام أبو بكر ، أحمد بن محمد بن هارون الخلاّل الحنبليّ (ت ٣١١ هـ) في كتابه « الأمربالمعروف والنهي عن المنكر » (ص ١٥٣) تحت عنوان : « باب ذِكر قراءة الألحان » أحاديثَ عِدّة عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - نوردِ هنا بعضها طلباً للاختصار :

قال رحمه الله : « أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ، قال : سمعتُ أبي - وقد سُئل عن القراءة بالألحان - فقال : مُحْدَث ، إلاّ أن يكون من طباع الرجُل ، يعني طبع الرجُل كما كان أبو موسىٰ .

أخبرني محمد بن جعفر ، أن أبا الحارث حدّثهم أنّ أبا عبد الله قيل له : القراءة بالألحان والترنُّم عليه ؟ قال : بدعة . قيل له : إنهم يجتمعون عليه ويَسمعونه . قال : الله المستعان .

وأنا أبوبكر المروزيّ ، قال : سُئل أبو عبد الله عن القراءة بالألحان فقال : بدعة ، لا يسمع .

أخبرنا الحسن بن جحدر ، قال : حدثنا عبد الله بن

يزيد العنبريّ ، قال : سمعتُ رجلاً سأل أحمدَ بن حنبل فقال : ما تقول في القراءة بالألحان ؟ فقال له أبو عبد الله : ما اسمُك ؟ قال : محمد . قال : فيسُرُّك أن يقال : يامومحماد (ممدوداً) !

وأخبرنا أبو بكر المروزيّ قال : سمعتُ عبد الرحمن المتطبِّب يقول : قلتُ لأبي عبد الله في قراءة الألحان ، فقال : يا أبا الفضل ، اتخَذوه أغاني ، اتخَذوه أغاني ، لا تَسمع من هؤلاء .

أخبرني محمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال : سمعتُ أبا عبد الله يقول : يعجبني من قراءة القرآن السهلة ، فأما هذه الألحان فلا تعجبني » اهـ .